الرقمنة في الصين.. تحويل التهديد إلى فرصة

لا يمكن الحديث عن ثورة الصين الرقمية التي حصلت على مدار عقود، وما تزال، من دون الوقوف عند ما رافقها من ثورة تقنية كبيرة، ويعد عالم الهواتف شاهداً على ذلك.

حولت الصين تهديد الرقمنة إلى فرصة لتطوير مختلف جوانب الحياة فيها

يعرّف سور الصين العظيم بأنه مشروع دفاعي مؤلف من أبراج المراقبة والممرات الاستراتيجية وثكنات الجنود وأبراج الإنذار، إلى جانب الجدران الدفاعية التي جعلته درعاً لحماية شعوب عاشت في تلك المنطقة منذ أكثر من 200 عام قبل الميلاد.

تبدلت أشكال القتال مع اختلاف الأعداء وقدراتهم، وفرضت تبدلات كثيرة على شكل السور وطرق الوقاية وخطط الدفاع. واليوم، مع الثورة الرقمية العالمية، لم تعد جدران سور الصين العظيم تنفع في صد غزوات ثقافية وفكرية وتقنية ورقمية كبيرة؛ غزوات تستخدم أكثر الأسلحة سهولة في الوصول وأكثرها دقة في الإصابة: أسلحة التحول الرقمي.

في سياق هذا التحول، عملت الصين على تعزيز منظومتها بمواجهة العالم بأسره، فبلاد المليار ونصف المليار تقريباً لا يمكن أن تسير كباقي بلدان العالم، ولا تستطيع أن تكون مهمشة بانتظار الآخرين كي يسيّروها كما يريدون، وعدد سكانها يفرض عليها بناء منظومة كاملة متكاملة بدأت من عالم مقفل يمزج بين القوانين الحياتية الخاصة مع مسار التطور التقني والصناعي، وصولاً إلى الرقمنة الشاملة التي تعمل عليها منذ سنوات منظومة مكّنت بكين من مواجهة المتغيرات في العالم، وجعلت منها لاعباً دولياً يصارع الأقوياء ويحسب له الحساب.

حولت الصين تهديد الرقمنة إلى فرصة لتطوير مختلف جوانب الحياة فيها، واستثمرت في نقاط قوتها، ومن بينها عدد السكان الذي يقدر بمليار و400 مليون نسمة، منهم ما يعادل 65% يستهلك الإنترنت، و111.8% يرتبط بشبكة الهاتف المحمول، ويحمل بعضهم هاتفين أو أكثر بدلاً من الهاتف الواحد، وهو ما يدلنا بشكل مباشر على أسباب الاهتمام بالمنظومة الرقمية المتعلقة بالهاتف الخليوي، ولا سيما أن 98% من مستهلكي الإنترنت في الصين يستخدمونه عبر هواتفهم.

عصر التطبيقات الرقمية

دخلت الصين منعطفاً حاسماً في مواجهة أضخم الإنتاجات الأميركية والغربية الرقمية منذ سنوات، وشكلت سورها الرقمي الخاص، وحاولت المحافظة على شعبها كي يكون زبونها دون غيرها، من خلال إقفال باب المنافسة وخلق التوجه الواحد، ولا سيما في التطبيقات الرقمية.

حصّنت الصين نفسها وثقافتها من خلال بناء منظومة تطبيقات كاملة متكاملة. واليوم، يمكن أن تجد في معظم دول العالم مستهلكين لـ"فيسبوك" أو "واتسآب" أو "تويتر" أو "تيك توك" أو غيرها من التطبيقات المشهورة عالمياً. أما فيها، فالأمر مختلف تماماً. مقابل كل تطبيق، بنت الصين ما يوازيه لجمهورها الكبير، ففي مقابل "غوغل" كان "Baidu". ومقابل خدمات التسوق العالمية "amazon" و"ebay"، بنت سلسلة أسواق إلكترونية، من بينها "Tmall" و"com.JD". وإلى جانب حصر الحركة التجارية، بنت منظومتها المالية وحركة التداول الخاصة، فمقابل تطبيقات "PayPal" و"AppelPay"، وجدت "ALiPay" ليكون واحداً من التطبيقات الأكثر استخداماً فيها.

في الشق الاجتماعي، سيّجت الصين جمهورها خوفاً من محاولات كبريات الشركات السيطرة عليه عبر ما يعرف بمواقع التواصل الاجتماعي، إذ منعت استخدام معظم التطبيقات الاجتماعية العالمية، من مثل "فيسبوك" و"واتسآب" و"تويتر"، وذهبت أبعد من ذلك لتمنع تطبيقات الفيديو التي يمكنها أن تنقل محتوى ثقافياً وتسويقياً كبيراً، مثل "نتفلكس" و"يوتيوب".

وبموازاة ذلك، عززت منصات "Tencent" و"Youku" و"BiliBili" المخصصة لنشر المحتوى المرئي الذي تطور حجم استهلاكه في السنوات الماضية، إذ تبين في دراسة أجريت على الشريحة العمرية ما بين 16 و 64 سنة، أن 80% من استهلاك "الميديا" على الهاتف هو استهلاك للفيديوهات، ومن بينها الفيديوهات المباشرة.

إن "WeChat" و"Weibo" و"Douyin" أكثر شبكات التواصل الاجتماعي اعتماداً في الصين، في مقابل أهم التطبيقات العالمية، مثل "فيسبوك" و"تويتر" و"إنستغرام" و"تيك توك" وغيرها من تطبيقات التواصل الاجتماعي والمحادثات الصوتية والبصرية.

في عام 2020 وصل عدد مستخدمي "ويبو" إلى 520 مليون شخص مقسمين بين 56% ذكور و 44% إناث، وهو تطبيق اطلق عام 2009 ليكون موازياً لفايسبوك وتويتر، حيث تحمل صفحاته مستجدات واماكن للتعبير

والكتابة إضافة لما يعرف بالتراند، وتملك مجموعة "علي بابا" الشهيرة 31% من أسهمه.

وفي عام 2016 أطلقت "dance Byte" تطبيق "Douyin" كما هو معروف في الصين أما خارجها فمعروف بـ"تيك توك" الشهير، نسخة صينية سعت لترويج محتوى بصري صيني، وفي عام 2020 بلغ عدد المستخدمين 475 مليوناً 52% منهم ذكور و 48% إناث.

أما "WeChat"، فقصته مختلفة تماماً، إذ جمعت هذه المنصة التي أطلقتها شركة "Tencent" في العام 2011 بين المسار الاجتماعي والتجاري والحياتي، وكانت أحد أهم نماذج بناء "التطبيقات الكبرى"، أي إجراء إمكانية ظل في ،فيها المستخدمين تواجد وحصر ،متكاملة منظومة بناء منها والهدف ،"Super-App" مكالمة صوتية أو إرسال رسالة نصية أو التسوق، وللهوية الشخصية حقل مخصص، إضافة إلى إمكانية الدفع من خلالها. وقد جرى العمل لاحقاً على تطويرها لتتيح إمكانية طلب سيارة أجرة للنقل "Wechat uber".

لقد بات هذا التطبيق عالماً متكاملاً يضم أكثر من مليار مستخدم سُجلوا في العام 2020، يتبادلون من خلاله 45 مليار رسالة يومياً، من بينها 6 مليار رسالة صوتية، فيما يصل معدل وقت استهلاكه في الصين إلى 66 دقيقة يومياً مقابل 41 دقيقة لـ"فيسبوك"، كما يستخدم مليار ومئة مليون شخص هذا التطبيق يومياً لإجراء عمليات دفع المال.

عملت الصين أيضاً على خلق عالم افتراضي بحسب التوجه والتخصص، إذ أوجدت تطبيقات تجمع أصحاب الاهتمامات المشتركة.

شيء كل دخل "QR Code"

تحوّل اختراع اليابانيين "Hara Hasahiro" و"Nagay Takaywki" المعروف بالـ"code QR"، والذي ظهر إلى العلن في 17 حزيران/يونيو 2014، إلى واحد من أهم ركائز الثورة الرقمية الصينية، فإلى جانب صعوبة اللغة وكثرة الحروف الصينية، وعدد سكان الصين الكبير، وبهدف المساهمة في تسريع عجلة الحياة هناك، ولضرورات اقتصادية واجتماعية، تحول "code QR" من شعار صغير إلى شعار لصيق بكل شيء.

يمكن القول إن لكل شيء أو شخص في الصين "كوداً" خاصاً به، وآخر لرقم هاتفه، ولحساباته في الإنترنت، ولصفحاته ومواقعه، ولتسعيرة سلعته ومنتجاته، ولعنوان منزله، ولهويته الشخصية، ولرقم حسابه المصرفي. إذاً، لكل شيء "CODE QR". قبل ذلك، وصف مؤسس "Zhang Allen Wechat"، وفي معرض

حديثه عن هذه الفكرة سابقاً، الأمر بالقول: "كما أن نقطة الدخول إلى إنترنت الكمبيوتر هي محركات البحث، فإن نقطة دخول إنترنت الهاتف ستكون code QR".

المنافسة في عالم الهواتف

لا يمكن الحديث عن ثورة الصين الرقمية التي حصلت على مدار عقود، وما تزال، من دون الوقوف عند ما رافقها من ثورة تقنية كبيرة، ويعد عالم الهواتف شاهداً على ذلك. لقد عززت الصين مكانتها في عالم الهواتف، من خلال شركات باتت لها أسواقها الخارجية، وباتت تحارب، ولا سيما في الولايات المتحدة الأميركية.

واحدة من مشاهد المنافسة والتطور كانت ابتكار هواتف ذكية تمتلك القدرة على المنافسة بالخصائص والأسعار. وقد ذهبت الصين أبعد من ذلك بإعلانها عن أول الهواتف التي تدعم ميزة عمل إنترنت الجيل الخامس "5G"، كالهاتف الذي أطلقته شركة "Vivo" في شباط/فبراير 2020، أي قبل 9 أشهر من إطلاق شركة "آيفون" هاتفها "آيفون 12" الذي يدعم صيغة الـ"5G"، وتبعته شركة "Xiaomi Vivo" و"Huawei"، والعين اليوم على عالم الجيل السادس.

خلال عقود، طوّرت الصين نفسها واستثمرت إمكانياتها ومواردها البشرية والتقنية في سبيل بناء منظومة رقمية محصنة. صحيح أن إمكانية دخول التطبيقات الغربية والأميركية إلى الصين واردة من خلال تطبيقات اختراق ذكية وسهلة "VPN"، وبعضها متاح لأغراض بحثية ودراسية ولتسهيل علاقات بعض الصينيين بالخارج، إلا أن الصين عموماً حصنت نفسها بسور رقمي عظيم بات يفوق بقوته سورها الحقيقي.

وعلى الرغم من الإيجابيات التي حملتها هذه الثورة الكبيرة في عالم الرقمنة، فإنها تحمل سيئات كبيرة، ولا سيما في ما يخص الإنسان وحياته، إذ تحول الكائن البشري إلى مجرد رقم. هي ليست آفة الصين وحدها، إنما آفة عالم بأسره لم يعد يرى الكائنات الحية إلا مجرد أرقام وشيفرات يعمل على توظيفها واستثمارها لجني المال والأرباح ومراكمة الثروات.

المصدر: الميادين - الكاتب: محمد علي طه